بتصور الكلي والتصديق بحاله فانه ظن ان المراد بالعلم ادراك الكلي والمعرفة ادراك الجزئي ومن هذا تبين
وجه اختيار يعرف به على يبحث فيه عن احوال اللفظ العربي لان المراد بالاحوال الجزئية وهي لا يحمل على اللفظ
العربي وذلك ان لا فرق بين المعرفة والعلم ونريد بالعلم الملكة فيكون المعنى ملكة يعلم بها احوال اللفظ العربي
الى آخره اي ملكة هي مبدأ استحضار العلم باحوال اللفظ العربي ولا يخفى انه كما ادرج في تعريف فصاحة المتكلم
الاقتدار ليشمل حالتي النطق وعدمه ينبغي ان يندرج في تعريفات العلوم الثلاثة ليشمل حالتي المعرفة وعدمها
فتأمل قيل اذا اريد معرفة الجميع فهي محال لانها غير متناهية او البعض الذي لا يمكن تعيينها كالثلث
والنصف والربع فهو تعريف بالمجهول او ما يمكن تعيينه كمسئلة او مسئلتين فالعبارة قاصرة وقيل ان اريد
الكل فلا يكون هذا العلم حاصلا لاحد او البعض فيكون حاصلا لكل من عرف مسئلة ومن البين ان كلا من
الايرادين قاصر ترك فيه بعض الشقوق يظهر من الاحاطة بهما واجيب عنهما بان المراد معرفة كل واحد
يرد على صاحب العلم بالانكار ولم يدفع به قصور العبارة ويمكن ان يجاب بان المراد معرفة الجميع واستحالة معرفة
الجميع لا ينافي كون العلم سببا لها كما ان استحالة عدم صفات الواجب لا ينافي سببية عدم الواجب له
وعدم حصول العلم المدون لاحد وهو يتزايد يوما فيوما ليس بممتنع ولا مستبعد وتسمية البعض
فقيها او نحويا او حكيما كناية عن علو شأنه في العلم بحيث كانه حصل له الكل ومما يرد انه يصدق عليه
انه علم يعرف به احوال اللفظ التي يطابق اللفظ مقتضى الحال لا يقال انها ملكات لا ملكة واحدة لانا نقول علم
ملكات لا بوابه بل مسائله ووحدة الملكة ليس امرا منضبطا يمكن تعيينه وتحديد العلم به وليس لك ان تجيب
بان المراد يعرف به لذاته وما صدق ذلك يعرف به لجزئه لان كل حال يرد على صاحب الملكة يعرفها
لجزئها الا انها لذاتها نعم لا يبعد ان يقال معرفة جميع الاحوال بها لذاته فيخذه جوابا بهذا الاعتبار وبان تتكلف
وتريد يعرف بها تلك الاحوال فقط وما ذكرته من الملكة يعرف بها غيرها ايضا ومما يرد انه يصدق
التعريف على ملكة استحضار العلم من غير ان يحصل مسئلة كما اذا حفظ من شواهد المسائل ما يفي
باستنباط مسائله فانه يصدق عليها انها ملكة يعرف بها احوال اللفظ العربي التي بها يطابق
اللفظ مقتضى الحال لا يقال لا يعرف بها بل بمسائل يحصل بها لانا نقول فلا يعرف بملكة الاستحضار

ايضا

ايضا بل بمسائل يستحضر بها ثم تحتاج المعرفة مع ملكة الاستحضار الى المبادي ايضا بخلاف ملكة الاستحضار
لكن هذا الفرق لا يجري في تصحيح التعريف ولا يختلج في وهمك ان ملكة الاستحضار المذكورة انه لا يقال
احد ان من لم يحط بالمسئلة قط هو عالم بالعلم انما الكلام في ان ملكة استحضار كل المسائل مع ملكة استحصال
الباقي هل هو العلم ام لا من اراد ان يكون اطلاق الفقيه على الائمة حقيقة مع عجزهم عن جواب بعض الفتوى
التزم ذلك واما على ما سلكناه من ان الاطلاق مجازي فلا نلتزمه وجوابه ان العلم بمعنى ملكة الاستحضار
لا الملكة المطلقة كما مثلناه فملكة الاستحصال خارجة من قوله علم والمراد باحوال اللفظ الامور العارضة
المتغيرة كما يقتضيه اقتضاء الحال من التقديم والتأخير والتعريف والتنكير وغير ذلك وموضوع العلم مطلق
اللفظ العربي كما توهم العبارة بل الكلام من حيث انه يفيد زوائد المعاني فلو قال احوال الكلام العربي
لكان اوفق الا انه ادعى ان اكثر تلك الاحوال من عوارض اجزاء الكلام بالذات وان صاحب المعاني يرجعه الى الكلام
فاختار اللفظ ليكون صحيحا في بادي الرأي الا انه يجد شيئا احوال الاسناد فتأمل وقد نبه بتقييد اللفظ
العربي واطلاقه في قوله يطابق اللفظ على ان تخصيص البحث باللفظ العربي مجرد اصطلاح والا فيطابق
بها مطلق اللفظ مقتضى الحال ويطابق تفرع شأنه كل مقال ولهذا لم يضمر فاعل المطابقة فانحصار الاحوال
الشاملة لغير اللفظ العربي كيف تكون من الاحوال التي يبحث في العلم ولا يبحث فيه الا عن الاعراض
الذاتية ولا يندفع الا بما ذكره الشارح المحقق في بعض تصانيفه من ان اشتراط البحث عن الاعراض
الذاتية انما هو عند الفلسفي واما ارباب تدوين العربية فمن لا يتم في علومهم هذا الا بمزيد تكلف
والمراد بقوله التي بها يطابق اللفظ مقتضى الحال ما قدمناه في تعريف بلاغة الكلام فلا يفيده
فتذكر واحترز به عن الاحوال التي ليست بهذه الصفة كالاعلال والادغام والرفع والنصب وما اشبه ذلك
من المحسنات البديعية فان بعضها مما تقدم على المطابقة لمقتضى الحال وبعضها مما تأخر ولا بد من اعتبار قيد
الحيثية اي التي بها يطابق اللفظ مقتضى الحال من حيث هي كذلك ليتم الاحتراز به والا لدخل فيه بعض
المحسنات والاحوال النحوية والبيانية التي ربما يقتضيه الحال فان الحال ربما يقتضي تقديما او تاخيرا
يبحث عنه النحوي وربما يقتضي السجع ونحوه وربما يقتضي ايراد المجاز والتشبيه فلولا قيد الحيثية

Copyright © King Saud University

Created with PDFsharp 1.2.1269-g (www.pdfsharp.com)